

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department



مفاتيح فهم الكلام العربي

إعداد

د. محمود أحمد الزين

إدارة البحوث


مفاتيح
فهم الكلام العربي

التدقيق اللغوي

شروق محمد سلمان

إخراج

محيي الدين حسين يوسف

الطبعة الثانية

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

ISBN 978-9948-499-22-0

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

mail@iacad.ae www.iacad.gov.ae



دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

مفاتيح
فهم الكلام العربي

إعـداد

د. محمود أحمد الزين

إدارة البحوث


بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحـيـة

الحمـد لله رب العالمـين، والصَّلاة والسَّـلام على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعـــد:

فيـسر « **دائرة الشؤون الإسـلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **مفاتيح فهم الكلام العربي** » لجمهور القراء وطلبة العلم المتطلعين إلى المعرفة ذات الأصول القويمة، وهو موجز تعريفي يدعو إلى دراسة العلوم التي تفتح للقارئ أبواب المعاني والمقاصد في كل ما كتب بلغة القرآن.

وهـذا الإنجـاز العلمـي يجعلنـا نقــدم عظيـم الشـكر والدعـاء **لأسرة آل مكتـوم** حفظها الله تعالى التـي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي

مقدمتها **صاحب السـمو الشـيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتـوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه.

راجين من العلي القديـر أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيـق والسـداد، وأن يوفق إلى مزيد مـن العطـاء على درب التميز المنشـود.

وآخـر دعوانا أن الحمـد لله رب العالمين، وصَلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّـــد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور سيف بن راشد الجابري

مدير إدارة البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمـد لله الـذي خلـق الإنسـان، وعلمـه البيـان، والصلاة والسـلام الأتمان الأكملان على أفصح إنسان: سـيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أنزل الله عليه القرآن، ووكل إليه التفسـير والتبيان، فقام بذلك أفضل القيام، حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وبعـــــد:

فإنَّ مـن أوضح الأمور في عقـول كل الناس أن فهم الكلام في أي لغة لا يكون إلا بمعرفة اللغة التي كُتب بها، ولا يمكـن تفهّمـه بإتقان إلا بإتقانها مـن جميع وجوهها ،

ولكل لغة مفرداتها وقواعد تركيبها وكيفية نَظْمها التي تدل على مقاصد المتكلمين بها ، ولغتُنا العربية مثلُها في ذلك - وإن امتازت بكثرة مفرداتها وسعة نظام دلالة المفردات والتركيبات والجمل بخصوصيات كثيرة -، ولا يمكن فهم تلك المقاصد دون العلم بذلك كله، ولاسيما القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين كانا هما الباعث الأعظم للعلماء على تدوين علوم العربية لأجل فهمهما وتعقل ما جاء فيهما كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

وبسبب سعة هذه اللغة وكثرة أساليبها ووجوه دلالاتها جعل علماء العربية - بعد تأسيس علومها ونموها - كلَّ جانب منها علماً مستقلاً:

(١) سورة يوسف: الآية ٢ .

فعلـم المعاجـم ومعرفـة دلالـة المفـردات وموادهـا والفروق بينها علمٌ مستقل.

وعلم أوزانها وصيغها ومعاني أوزانها علمٌ مستقل.

وعلم تركيب المفردات في جمل ومعاني تركيباتها علمٌ مستقل.

واستعمال الكلمات والجمل في سياقها المناسب والمعنى الذي يدل عليه السياق سواء فيما وضعت له أو في غير ما وضعت له مع معرفة طريقة الدلالة ودرجة الوضوح علمٌ مستقل وهكذا .

ولكي لا يصد هذا التفصيل طالبَ العلم عن تعلم اللغة ، وضع العلماء في كل فن من هذه الفنون كتباً موجزة ومتوسطة ومطولة، يختار الطالب منها المستوى الذي يريد أن يسير فيه، فيقتصر على ما يحقق رغبته، لكن إذا أراد

المستوى الأعلى درس الموجَزات، ثم ترقى إلى المتوسطات، ثم إلى الموسَّعات.

ومَنْ أعرض عن هذا الطريق فاته فهم الكلام العربي على الوجه الصحيح، ولا تغنيه معرفته للهجة المحلية التي تعودها في بلده، فهذه اللهجات وإن كانت في أصولها عربية إلا أنها تغيرت، وفاتَها كثيرٌ من تفصيلات أصلها العربي الفصيح، فأصبحت معرفتها لا تكفي لفتح طرق الفهم للكلام العربي الفصيح، ولاسيما القرآن الكريم والسنة النبوية ، وإن كانت تفيد إلى حد ما في محادثة العرب بعضهم مع بعض عند اختلاف الأوطان.

وقد أهمل كثيرون تعلم هذه العلوم: علوم العربية، إلى أن صار الحديث عنها غريباً عليهم فضلاً عن معرفتها وفهمها وإدراك مقاصدها والاعتماد عليها في فهم الكلام ،

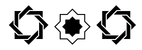
فصار التعريف بهذه العلوم ومقاصدها وأهدافها ضرورة ملحـة وواجباً لا غنـى عن القيام به ، فعسـى الله تعالى أن ييـسر لي كتابة هذا الموجز التعريفـي بفضله، له الحمد وبه المستعان .

وقد تقَدَّم القول بأن كل ما كتب باللغة العربية فالعلم بهـا هو مفتاحه بلا ريب ، إلا أن العلم بهذه اللغة - لطول المراجعـة والتعمـق والتدقيـق - قـد تفرع إلى علـوم، كل منها يخدم جانباً ويفتح طواياه للدارسـين وعلى مستويات متعددة بين الابتداء والتوسط والانتهاء.

وحـين دخلنـا زمـن إهمـال لغتنـا كان الاقتصار على مسـتوى الابتـداء هـو أول المنحـدر، ثُـمَّ صـار الاقتصار عـلى بعض علـوم العربية دون بعض طريقـاً إلى الانحدار الشـديد، وبذلك صرنا نقـرأ كل ما يكتـب بالعربية قراءة

سطحية كقراءة المجلات والقصص ، وهو منهج لا يصلح لقراءة الكتب العلمية والأدبية لاسيما التراثية.

ولهذا كانت العودة الصحيحة هي أن نتعرف على هذه العلوم كلها، وعلى فائدة كل منها، وندرسها كلها دراسة جادة مهما اختلفت المستويات ، وإذا كانت لغتنا وعلومها قد ضعفت آثارها وثمراتها بسبب الإهمال فإن حماية اللغة العربية من الضياع والفناء لا يمكن أن تكون بدون مقاومة الإهمال وبدون معرفة الفروع العلمية التي تتفرع إليها اللغة العربية ، وما الذي ينفعنا من كل فرع منها.



العلم الأول

علم مادة الكلمة وعلم المعاجم

وأول شيء يستدعي النظر - عندما يراد فهم الكلام - هو الكلمات المفردة لأن الجمل المفيدة تتكون منها.

والكلمات المفردة ينبغي أن ينظر القارئ إليها من جهتين:

- مادتها أولاً .
- ووزنها ثانياً.

والمراد بالمادة : الحروف الأصلية التي تشتمل عليها الكلمة، كالكاف والتاء والباء في (كتب)، وإليها ترجع كل الكلمات المشتقة منها، وإلى معناها الذي تدور حوله

ترجع الكلمات المشتقة منها، فهذه الحروف : (ك ت ب) مثلاً تدور كل الكلمات المشتقة منها حول معنى الكتابة أي ضم الحروف بعضها إلى بعض مثل (كَتَبَ ، يَكْتُبُ، اُكْتُبْ، كاتَبَ ، يُكَاتِبُ ، اسْتكْتَبَ ، يَسْتكْتب)، ومن معانيها ضم الأشياء بعضها إلى بعض مثل : (تَكَتَّبَ القوم) أي تجمعوا، ومنه (الكتيبة) وهي الجماعة من الجيش .

والنظر في معنى مادة الكلمة المفردة يكون عن طريق المعجمات قراءة وتفهماً، وقد يكون حفظاً كما كان علماؤنا القدامى ، لتكون معرفة المعنى معرفة منضبطة تمنع الخلط بين المعاني المتقاربة والمتشابهة، فالحمد والثناء مثلاً كل منهما فيه الوصف بالصفات الجميلة فهما متقاربان لكن الثناء فيه معنى يزيد على الوصف بالجميل وهو المدح، وفي الحمد زيادة من جهة أخرى وهي تضمنه معنى الشكر،

ولكل منهما في الكلام موضع، ولذلك ألّف بعض علماء العربية كتباً في بيان الفروق بين معاني الكلمات ، ولم يريدوا بذلك استقصاءَ كل الفروق ، ولكن نبّهوا على أشياء تعلم الدارس أن ينظر في أمثالها، وكثير منهم سموا كتبهم باسم الفروق.

ومن دقيق هذه الدلالة أعني دلالة الكلمة بحسب مادتها دلالة كلمة « الصَّمَد » فقد فُسِّر بأنه هو الذي كمل في جميع معاني السؤدد كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الطبري.

وكذا كلمة « السُّبات » في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾[1] أي قطعاً لأعمالكم، والمراد راحة لأبدانكم كما في تفسير البغوي .

---

(١) سورة النبأ: الآية ٩ .

وقد يكون بين العلماء خلاف في معنى مادة الكلمة فيختلفون في الحكم الشرعي الذي دلّت عليه كما اختلفوا في لفظ « السارق » هل يشمل من يفتح القبور لأخذ الأكفان ، وهل يسمى سارقاً فتقطع يده أو لا يشمله، فيعاقب عقوبة التعزير، أي يقدر القاضي عقوبة رادعةً له.

وكذلك اختلفوا في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾[(١)]، فقال بعضهم يعني مضيئاً منيراً ، وقال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة كما في تفسير البغوي .

وفي العربية نجد استعمال الكلمة في المعنى وضده مثل كلمة (الجَوْنِ) تأتي بمعنى الأبيض وبمعنى الأسود،

---

(١) سورة النبأ: الآية ١٣ .

ويعرف المراد منها بواسطة السياق والقرائن، وقد نبَّه العلماء إلى ذلك في كتب خاصة يسمى كل منها: كتاب الأضداد .

وقد تستعمل الكلمة في معنيين مختلفين لكن لا تضاد بينهما كلفظ « العين » يأتي بمعنى العين الباصرة وبمعنى منبع الماء ، ويعرف أيهما المقصود بواسطة السياق والقرائن.

وهذا النوع من الألفاظ يسمى المشترك، وقد اهتم به علماء أصول الفقه، وخصصوا له مباحث في كتبهم لأهميته في فهم ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[1]، لفظ القرء فُسِّر بالحيض وفُسِّر بالطهر من الحيض .

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨ .

ومـن أهم ما يتعلـق بالفروق بين معـاني الكلمات ما يكون الفرق فيه بين عموم وخصوص كالفرق بين العبادة والصّـلاة، إذ كل صلاة عبادة، وليســت كل عبادة صلاة، لأن الصـوم والحـج مثـلاً كل منهـما عبـادة، مـع أنه ليس بصـلاة، وكذا يقـال: كل صوم عبـادة، وليـس كل عبادة صومـاً ، فإذا نهانـا النبي صلى الله عليه وسـلم عن الصوم أيـام عيد الأضحى فلا يفهم من ذلك النهي عن الصلاة ، وقد اهتم علماء أصول الفقه بمسألة العموم والخصوص، وجعلـوا لها في كتبهم مباحـث خاصة، بل خصها بعضهم بكتـاب مسـتقل، وأصـول الفقه علـمٌ أسَّـس قواعد فهم الأحكام من القرآن الكريم والسنة .

ومـن أهـم جوانب هـذا المبحـث أن يعـرف القارئ بواسـطة الفرق بين العام والخاص أنه لا تناقض بينهما إذا

جاءا في نصّين متعارضين ظاهراً: كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾[٢]، فالأول عام في كل مَنْ صلَّى، والثاني خاص بمَنْ صَلَّى مقتدياً بإمام فيستثنى الثاني من الأول، وهذا وجه من وجوه فهم الحديث وهي قضية اختلف الفقهاء فيها وليس هنا مكانها إنما هذا تمثيل هنا، وقد كتب بعض علمائنا كتباً جمعت قدراً لا بأس به من هذه الأبواب التي تقدم ذكرها من فروق وغيرها سموها كتب « فقه اللغة ».

وكل ما تَقَدَّم إنما هو أمثلة يسيرة من أهمية معرفة الدلالة المستفادة من مادة الكلمة عن طريق المعاجم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٩٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٤ .

اللغوية قبل النظر في الدلالة المستفادة من هيئة الكلمة أي من الوزن الصرفي فيها والفوارق الناتجة عن ذلك .





العلم الثاني

صيغة الكلمة : « علم التصريف »

والعلم الذي تخصص ببيان المعاني المستفادة من هيئة الكلمة أي : « وزنها الصرفي » هو علم الصرف أو علم التصريف، وكان يدرس مع علم النحو لقوة العلاقة بينهما في تركيب الجملة وعمل الفعل وشبهه وسائر المشتقات ذات الأثر في تركيب الجملة، ثُمَّ استقل في كتب خاصة ليأخذ حقه من الدراسة والبحث بتوسع وتعمق وتخصيص ، وذكرت رؤوس مهماته بعض المعاجم اللغوية في مقدماتها كمختار الصحاح لقوة تعلقه ببيان معاني المفردات للكلمات، بل لا يمكن أن يفهم المعنى الإفرادي تاماً بدون هذا العلم .

وبيان ذلك يتضح من صيغ الأفعال وصيغ الأسماء

فالمادة المكونة من (ك ت ب) على هذا الترتيب في الحروف تدل على الجمع والاجتماع، وتختلف كل صيغة عن الأخرى بوزنها ودلالتها ، ففي صيغ الأفعال حسب زمانها نقول: (كَتَبَ ، يَكْتُبُ ، اكْتُبْ) فتختلف الكلمات الثلاث من جهة الزمان والمعنى.

فالأول: إخبار عن حصول الكتابة في الزمن الماضي.

والثاني: إخبار عن حصولها في الزمن الحاضر أو المستقبل.

أمَّا الثالث: فيدلُّ على طلب حصولها في المستقبل، فاختلفت دلالة الصيغة الثالثة عما قبلها بزيادة هي (الطلب)، وهذه الدلالة مطردة مستمرة في جميع كلمات صيغة الأمر .

ثُمَّ هناك اختلاف المعنى بسبب الصياغة والوزن من

جهة عدد حروف الفعل ، هل هو ثلاثي أو رباعي أو خماسي أو سداسي نحو : (كَتَبَ ، كَاتَبَ ، تَكتّبَ، تَكاتَبَ، اسْتَكْتَبَ) ، (فكتب) وهو الفعل الأول يدل على فعل الكتابة من فاعله نحو : (كتب الطالب).

و(كاتب) يدل على اشترك الفاعل مع المفعول في الكتابة نحو : (كاتب الرجل صديقه) أي كتب كل واحد منهما إلى الآخر ، ويقرب منه (تكاتب) لكن هذا يدل على اشتراك الفاعل مع ما عطف عليه في الكتابة نحو: (تكاتب الرجل وصديقه)، ويكون بواسطة (مع) نحو: (تكاتب الرجل مع صديقه) ، ويمكن أن يكون الفاعل اسماً دالاً على متعدد فيكون الاشتراك بين أفراده نحو : (تكاتب الرجلان) أو (تكاتب الرجال).

أمّا صيغة (استكتب) فتدل على أن الفاعل طلب من المفعول الكتابة في الماضي نحو : (استكتبت زيداً)

أي طلبت منه الكتابة ، ويأتي بمعنى تصييره كاتباً له نحو : (استكتبت زيداً) بمعنى جعلته كاتباً لي ، أما فعل (تَكَتَّب) فهو دال عل أصل معنى الاجتماع لا على اجتماع الحروف خصوصاً فتقول : (تكتب القوم) أي تجمعوا.

وهذا الاختلاف في المعنى بين صيغة وأخرى موجود في الأسماء أيضاً، ففي الاشتقاق من مادة (ك ت ب) الثلاثية نأخذ اسماً يدل بصيغته على الفاعل نحو : (كاتِبٌ)، أو اسماً يدل على المفعول نحو : (مكتوبٌ)، أو اسماً يدل على تكرر حصول الفعل من الشخص نحو : (كَتّاب) وتسمى هذه : « صيغة المبالغة » أي زيادة معنى الكتابة متكررةً من الفاعل ، فإذا أردنا ثبوت هذه الصفة له وهي الكتابة قلنا (كتوب)، لكن هذه الصيغة تدلّ في الأصل على التكرار مثل : (كَتّاب)، ويفهم معنى الثبوت منها بواسطة السياق.

ويظهر معنى الثبوت أكثر وأوضح في معان أخرى كصيغة ثابتة خصصت للثبوت مثل (حَسَنٌ) على وزن (فَعَل) من الحُسْنِ في الخُلُق أو الخلْقة؛ أو على وزن (فُعَال) نحو: (شُجاع) وتسمى هذه «صيغة الصفة المشبهة»؛ و«صيغة التفضيل» من الكتابة وغيرها (أَفعَلُ) نحو: (زيد أَكْتَبُ من عمرو)؛ والصيغة الدالة على المكان من الثلاثي (مَفعَل) نحو: (مَكتَب)، وتكون من بعض الثلاثي على وزن (مَفْعِل) نحو: (مصرِف) وهاتان الصيغتان أي (مَفْعَل ومَفْعِل) تدل كل منهما على الزمان كذلك، ويعرف بواسطة السياق هل المراد بها الزمان أو المكان نحو: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ ﴾[1]، ويقال: (فلان يعمل مصبحه وممساه) أي يعمل في وقت صباحه وفي وقت مسائه.

(١) سورة الكهف: الآية ٨٦ .

وصيغة المصدر هي التي تدل على معنى المادة دون أي زيـادة، وهذا هو معنى مادة الكلمـة مثل : (كتابة وقراءة وجلـوس وقيـام)، والمصـادر منهـا القيـاسي مثـل وزن (فِعالة) كقراءة وكتابة وصرافة وجناية وأشـباهها، ومنها السـماعية، كل كلمة منها تحفظ بـلا وزن مطّرد يخصصها، ولا تقاس عليها كلمات أخرى .

ولا بـد من الانتباه إلى أمر مهم في فائدة علم الصرف وهي الاختصار فبدلاً من أن نقول : (فلان متكرر منه فعل الكتابـة) نقول (فلان كَتّاب) ، وبدلاً من أن نقول (هذا مـكان كتابـة) نقول (هـذا مَكْتب) ، وبدلاً مـن أن نقول (فـلان شـجاعته صفة ثابتة لـه) نقول (فلان شُـجاع)، وقد يسـتغرب الإنسـان العربي هذا لأنه لا يسـمع في لغته هـذه العبـارات المطولة، ولكنـه إذا نظـر إلى لغات أخرى سـيجد هذا التطويل أمـراً طبيعياً معتاداً لا يسـتغربه أهل

تلك اللغات ، فبعضُ اللغات حين استعمال الأفعال يؤتى فيهـا بلفظ المصدر مقرونـاً بكلمة أخرى تدل على الزمان، ففي لغة الأكراد مثلاً (خُداي قبول كر) و (خُداي قبول بِكِـي)، الأولى معناهـا (الله يتقبـل) حين يقولها الإنسـان لآخـر عَمِـل عَمَلاً صالحـاً، والثانيـة معناهـا (الله تقبل) يعنـي تقبـل الله عملك، جـاء المصدر (قبـول)، وجاءت بعـده علامـة الحـاضر أو المـاضي ، بينما نقتـصر في الكلام العـربي على كلمة واحدة بـوَزْنٍ صرفي يدل على الماضي أو وَزْنٍ يـدل على الحاضر فنقول : (تقبل الله) يعني عملكَ، أو نقول : (يتقبل الله) .

ولا بد للقارئ من أن يكون على عِلمٍ موثّق بهذا العلم حتّى يـدرك المعنى تاماً من الكلمة كـما كان ذلك في دلالة المصدر عـلى معنى المادة ، فإذا أخذنا مثـلاً كلمتي (كَاتِبٌ وكَتّابٌ) عرفنا أن كلّاً منهما تدلّ على فاعل الكتابة، وفرّقنا

بينهما بأن الأولى يفهم منها أنه اتصف بفعل الكتابة إجمالاً وبأن الثانية تدل على أنه اتصف بتكرير فعل الكتابة.

فهذا الفرق وغيره مما يكون بين دلالة صيغ الأسماء أو بين صيغ الأفعال ينبغي أن يلاحظ في كل كلمة بالإضافة إلى معنى المادة حتى يدرك القارئ المعنى تماماً، ومن هذا قال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾[1]، إن الله يحب العبد الذي يتوب إليه من الذنب وإن تكرر منه الذنب، لأن التواب هو من تكررت منه التوبة، وذلك يكون عند تكرار الذنب، والأمثلة من هذا النوع أكثر من أن تحصى.

وكذا يقال: إن لفظ « الصَّمَد » صفة مشبهة مثل: (حَسَن) والصفة المشبهة تفيد الثبوت، أي إن كونه سبحانه وتعالى (صَمَداً) وصف ثابت له، مستمر

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢ .

لا يتغـير، وهـذه المعاني لا تـدرك إلا بعلم الـصرف ، ولو جُمعت أمثلتها في كتاب لكان كتاباً كبيراً .

وينبغـي للقـارئ أيضـاً أن يلاحظ الفـرق بين صيغ الاسـم وصيغ الفعل فحين نقـول : (زيد قائم) لا يكون المعنـى مثل: (زيـد يقوم)، وإن كان المعنـى العام واحداً، وكان الفـرق دقيقـاً، وذلـك لأن معنـى (زيـد قائـم) هو أنـه متصف بالقيـام دون بيان يُعيّن الزمـان، ولكن يعرف الزمـان من السـياق فيقال مثـلاً : (زيد قائـم الآن أو زيد قائم بالأمس أو زيد قائم غداً) ، أما (زيد يقوم) فمعناه : أن فعلـه للقيام يحصل الآن بملاحظة الزمن فيه وملاحظة حركـة القيـام ، وهكـذا هـو الفرق بـين الإخبار بالاسـم والإخبار بالفعل، دائماً لكل منهما خصوصية .

وهناك كلمات مفردة تخرج عن معناها الأصلي بواسطة

السياق ، كما تستعمل كلمة (أسد) بمعنى الرجل الشجاع وهو ما يسمى مجازاً، ويسميه منكرو المجاز اشتراكاً، وكان يمكن ذكره هنا لتعلقه بدلالة المفردات لكن يأتي الحديث عنه في أهمية علم البلاغة في معرفة معاني الكلام، وإنما يؤجل إلى هناك لأنه يقع في الكلمات المفردة كما تقدم في المثال السابق، ويكون في الجمل كما يقال (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى) إذا كان يتردد في الرأي ولا يستقر على رأي معين، فالمفردات هنا لا تؤدِّي المعنى المقصود، لذلك يقال: نقلنا المعنى التركيبي الأول «أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى » إلى المعنى المذكور في التركيب الثاني: « أراك تتردد في الرأي »، وذكر هذه الدلالة هنا يخالف ما اعتاد عليه الدارسون، وذكره هناك أجمع وأهم وأكثر موافقة لما اعتاد عليه الدارسون في كتب البلاغة .

ومكان علم البلاغة في الترتيب الطبيعي بعد علم

النحـو ، لأن مسـائل البلاغة إنما تظهر عنـد التركيب في جملة أو جمل، والجمل إنما تركب بحسب قواعد النحـو، فالنحـو لا بُـدّ أن يكـون حديثـه أسـبق، والحديـث عن فائدته مقدم .





العلم الثالث

علم النحو وفوائده

أول مـا ينبغـي بيانـه في الحديث عن أهميـة النحو هو وجوب التخلـص من الفكرة السـائدة الخاطئة التي تنظر إلى النحـو عـلى أنه زينة لفظيـة، لا على أنه دليـل يأخذ بيد القـارئ إلى فهـم المعـاني التي توجـد عند تركيـب الجملة ومجمـوع الجمل، وهـي معـان لا تُعرَف بمعرفـة الألفاظ المفـردة، ولـكل باب مـن أبـواب النحو طريقـة تهدي إلى المعنى الذي يدل عليه .

ويتضـح ذلـك إن شـاء الله تعـالى بواسـطة الأمثلـة، وأبسـط هـذه الأمثلـة أن السـامع يعـرف مـن المقصـود بالمخاطبة أهو ذكر أم أنثى حسـب الحركة : (أنتَ ذهبتَ، أو أنتِ ذهبتِ) .

ويظهر هذا الفرق بوضوح في مثال من القرآن الكريم وهو قول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[1] هو في الآية بفتح التاء من كلمة ﴿ أَنۡعَمۡتَ ﴾ أي يا رب اهدني إلى طريق الذين أنت أنعمت عليهم بالهداية، والجاهل لا يرى فرقاً بين الفتحة والضمة والكسرة مع أنه فرق كبير جداً في المعنى، لأن الذي يقول: (أنعمتُ) بضم التاء يكون المعنى في كلامه: يا رب اهدني إلى طريق الذين أنا أحسنت إليهم، وهذا مخالف لمعنى الآية مخالفة تامة، وإذا قرأ (أنعمتِ) بكسر التاء كان ذلك إساءة عظيمة في حق الله تعالى لأنه خاطبه كما تخاطب الأنثى.

والذي دلّ على اختلافِ المعنى بين الحالات الثلاث هو اختلاف الحركات، فلينظر القارئ كم يقع الخطأ في

---

(١) سورة الفاتحة: الآيتان ٦-٧ .

هذا ، وكم هم الذين يجري على ألسنتهم وهم لا يشعرون أنه خطأ في أداء المعنى لا في اللفظ فقط ، وكل حركات الكلمات في الجمل كذلك حركات الإعراب أو حركات البناء .

وهذه أمثلة يسيرة ، وأهمية النحو أكثر من ذلك كثيراً فهو يدخل في كل جملة، ويكشف عن المعنى الذي وجد بالتركيب بواسطة الحركات وما ينوب عنها كشفاً دقيقاً منضبطاً بطريقة موجزة .

وهذا أمر يتضح بالأمثلة أكثر، ومن أظهر الأمثلة في ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[1]، ومعنى الآية الكريمة أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء ، وهذا المعنى لا يظهر في الآية الكريمة إلا لمن يلاحظ الفتحة التي على آخر لفظ

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨ .

الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾، ويلاحظ الضمة التي على آخر لفظ ﴿ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾، لأن الضمة تدلُّ على أن فاعل ﴿ يَخْشَى ﴾ هو ﴿ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾، والفتحة تدل على أن مفعول الخشية هو لفظ الجلالة كأنه قيل: (العلماء يخشون الله)، والجاهل بقواعد علم النحو لا ينتبه إلى ذلك، ويتعجب من لفظ الآية كيف جاء على هذا الوجه، لأنه يظن أن معنى الآية حسب لفظها، دون معرفة معنى الحركة، هو أن الله تعالى يخشى من العلماء كما صرّح بذلك بعض الجهلة الذين لا يعرفون النحو وقواعده .

وقد يخطر في بال بعض الناس الذين لا يعرفون الفروق بين أساليب اللغة العربية في الدلالة على المعنى فيقول : لماذا لم يقل ربنا (إن العلماء يخشون الله) ؟

وجواب ذلك: أن أسلوب الآية أريد به معنى آخر أقوى وأدق من هذه العبارة المقترحة إذ معنى الآية هو:

(إنّ العلماء هم وحدهم الذين يخشون الله سبحانه وتعالى الخشية التامة)، وليس هذا في العبارة المقترحة السابقة، بل معناها هو مجرد الإخبار بأنهم يخشون الله سبحانه وتعالى، والذي جاء في الآية أكثر اختصاراً .

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1]، ومعنى ابتلى اختبر، فيظن مَنْ لا يعرف قواعد النحو أنَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي اختبر ربه بهذه الكلمات، والمقصود في الآية الكريمة عكس ذلك أي إن الله تعالى هو الذي اختبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا المعنى يظهر بسهولة لمن يعرف قواعد النحو إذا لاحظنا أن الضمة فوق لفظ ﴿ رَبُّهُۥ ﴾ تعني أنه هو فاعل الاختبار ولاحظنا أن الفتحة فوق آخر لفظ ﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ تعني أنه هو الذي وقع عليه فعل الاختبار ،

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤ .

ومن تأمل هذا عرف أن علم النحو ضروري لفهم الكلام العربي ولا يمكن الاستغناء عنه إلا إذا استغنى الإنسان عن فهم ما يقرأ ويسمع فهماً صحيحاً منضبطاً تماماً.

لكن قد يخطر في بال بعضنا أن يقول: إنه يمكن أن نستغني عن هذه الحركات إذا جعلنا الفاعل دائماً بعد الفعل مباشرة، وجعلنا المفعول به يأتي دائماً بعد الفاعل، وهذا شيء يمكن تعلمه بسهولة فلماذا نتعب أنفسنا بتعقيدات نفرضها على أنفسنا عند الاعتماد على الحركات في فهم الجملة ؟

وجواب هذا الإشكال من جهتين:

الجهة الأولى: هي أن موقع الكلمة في الجملة له معنى آخر هو أن الجزء المقدم في الجملة له أهمية أكبر من الجزء المتأخر، وتتنوع أسباب الأهمية تفصيلاً حسب المناسبة

التـي تقـال فيها الجملة، فـإذا كان الشـخص الذي نكلمه يعـرف رجـلاً معينـاً، وهو غائـب في موضع خطـر، وهو ينتظر قدومه، قلنا له عند الإخبار عن قدومه (جاء خالد) مثلاً، ولا نقول له (خالد جاء) لأنه يعرف شـخصه، ولا يعرف هل قدم أم لم يقدم، فهو متلهّف على قدومه، فيُقدَّم لفـظ (جاء) الـدالّ على قدومه ، وهذا بخلاف ما إذا كان يعرف شـخصين أحدهما صالح والآخر مجرم، ويعرف أنّ أحدهمـا قد جاء، فهو حريـصٌ أن يكون الآتي هو الصالح واسـمه خالد، والآخر اسمه زيد، فنقول له: (خالد جاء) ليُسَرَّ بالخبر عاجلاً.

وتفصيـلاتُ الفائـدة التـي يفيدهـا موقـع الكلمة في الجملة تدرس في علم البلاغة إن شاء الله تعالى .

ومـن جهة أخرى فإنّ مـن المواقع المهمـة في التفريق

بين معاني أجزاء الجملة بواسطة الحركات الموضع الذي يصلح أن يكون كل من الفاعل والمفعول به موضع الآخر في المعنى كقولنا (أخذَ المالَ زيدٌ) فإن المعنى الظاهر إذا لم نضع للجملة حركات أن زيداً هو الذي أخذ المال ، ولكن ربما قصد المتكلم أن يقول إن المال شغل زيداً شغلاً أنساه غيره، فلا بد حينئذ أن يكون ضبط الجملة بضمة على آخر (المالُ) وفتحة على آخر (زيد) ليفهم بذلك هذا المعنى الذي هو خلاف المألوف الغالب .

وهذه المعاني يقال لها معاني التركيب أو دلالة التركيب، والتركيب لا يصح أن يكون إلا على حسب قواعد النحو ، ولذلك يسمونها معاني النحو أيضاً .

ولكي يتضح المراد بدلالة التركيب ينبغي أن ينظر المرء في أوضح الجمل وأخصرها، ثم يعلم أن ما فهم

منهـا هـو أمر مطـرد في كل جملـة، فمن ذلك أنـه إذا قلنا : (أكـرم النـاسُ الرجلَ الصالحَ)، فقولنـا (أكرم) دال على حصول الإكـرام في الزمن الماضي، وقولنـا (الناس) دال على بني آدم أو على جماعة منهم، والمستفاد من تركيبهما على هـذا الوجه هو أن هذا الإكرام حصـل من هؤلاء الناس، وهـو معنى ثالـث غير موجود في (أكرم) وحدها، ولا في النـاس وحدها، وكذا تركيـب كلمة الرجل معها على هذا الوجـه أفاد أن الإكـرام الذي فعله الناس قد وقع على هذا الرجل، وهو معنى حصل بواسطة التركيب ليس موجوداً في أي واحدة من الكلمات وحدها، ثم استفيد من وصف الرجل بالصالح أن الذي وقع عليه الإكرام هو الموصوف بالصـلاح وليـس غيره، فإثبـات الصـلاح للرجل حصل بواسـطة تركيب لفـظ الصالح في الجملة عـلى هذا الوجه المعين، وهو جعله صفة للمفعول به .

وكل جملة لا بد أن تدل على هذه المعاني التركيبية إذا ركبت الجملة على حسب ما توجبه قواعد علم النحو ، وكل باب من أبواب النحو يفيد عند التركيب معنى خاصاً لا يفيده غيره ، فلو قلنا في الجملة السابقة : (أكرم الناس الرجل صالحاً) لاختلف المعنى التركيبي مع أن العبارتين متقاربتان لأن الأخيرة تعني أنهم أكرموه حال اتصافه بهذه الصفة لا في حال اتصافه بغيرها ، والمعنى في الجملة التي قبلها أنهم أكرموا الرجل الصالح لا الرجل الفاسد لأن دلالة أسلوب الحال غير دلالة أسلوب الصفة .

ولا يمكن لإنسان أن يعرف المعاني التركيبية في كل جملة إلا إذا أتقن علم النحو، ومارس تطبيقه بعد ملاحظته في كلام العلماء حينما يشرحون هذه المعاني ، وبذلك يكون قد نال القسم الثالث من المعاني التي يُفْهَم بها الكلام

العـربي فصـار عنده منهـا : معنى المـادة ، ومعنى الصيغة، ومعنـى التركيـب، وبقـي عليه القسـم الرابـع وهو معنى مقتضى الحال، وهو مـا يتطلبه حال المخاطب، وهو الذي يدل عليه موقع الكلمة وسـياقها في مناسبتها كما سيأتي إن شاء الله تعالى في بيان المقصود من علم البلاغة .





العلم الرابع

علم البلاغة وأهميته

والعلاقـة بين علم النحو وعلـم البلاغة علاقة وثيقة في أعـلى درجات التوثيق، والنحـو في الحقيقة هو القاعدة والأرضيـة التـي يقوم عليهـا علـم البلاغـة، إذ إن الفهم التـام للـكلام لابد أن يكون عن طريـق معرفة كل أجزائه التـي يتركـب منهـا، بدءاً مـن معرفـة الكلمة المفـردة عن طريـق معرفـة معنى مادتهـا ، ومعرفة معنـى الصيغة، أي الـوزن الصرفي الذي بنيت عليه ، فإذا عرفنا معنى الكلمة المفردة نظرنا في المعنى التركيبي، وهو المعنى الذي نشأ من تركيب الجملة حسـب قواعد النحـو، ثم بعد معرفة ذلك كله نتعرف على معنى الجملة كلها عند وضعها في مناسـبة معينة وفي سـياق معين ، وهذا الأخير هو الذي نعرفه عن طريق علم البلاغة.

فالجملة الفعلية مثلاً يفهم منها نسبة الفعل إلى الفاعل أي أنه (قام بالفعل أو قام الفعل به) كما ذكروا في تعريف الفاعل، فقولنا مثلاً : (قام الرجل) فائدته الأساسية هي الإخبار بمضمون الجملة، وهو أن القيام حصل في الزمن الماضي بفعل هذا الرجل، فكلمة قام تدل على حصول القيام في الزمن الماضي ، والرجل يدل على الإنسان الذكر البالغ ، وجعله فاعلاً يفهم منه أنه هو الذي قام بهذا الفعل، وهذا المعنى غير موجود في قام ولا في الرجل، وإنما دل عليه إسناد الفعل إلى الرجل، وهو أمر يفهم من كل جملة فعلية ، ثم بواسطة السياق يفهم أن هذا المعنى هو المقصود فقط، وقد تفهم معانٍ أخرى من هذا الخبر تسمى لازم مضمون الخبر، أو لازم فائدة الخبر، كما لو كان قبل هذه الجملة كلام يفهم منه أن الموقف يحتاج إلى رجل كامل الرجولة يقوم بإعطائه حقه فقام رجل

معين فقلنا: « قام الرجل»، ويكون ذلك مدحاً عظيماً، لأن معناه قام بهـذا الأمر حق القيام رجل كامل الرجولة، فإذا قلنـا: (صـدق الرجل) فهمنا من إسـناد الفعل إليه معنى هو حصول الصدق منه ثم بواسطة السياق قد نفهم معنى آخـر ملازماً للأول وهو إرادة المدح في سـياق معين، وإذا قلنـا (كذب الرجـل) فنفهم من هذا الخـبر حصول فعل الكذب منه، ثم بواسـطة السـياق قد نفهـم منه معنى آخر يلازمه هو ذم الرجل .

وكذلك إذا قلنا (كأن زيداً أسدٌ) أو (كأن بِشْراً ذئب) أفادت الجملة الأولى تشـبيه (زيد) بالأسد ، والثانية تشبيه (بـشر) بالذئـب ، وكلاهمـا عـرف عن طريـق التركيب، ولكن قـد يراد من الجملة الأولى مدح زيد بهذه المشـابهة، ومن الثانية ذم بشر بهذه المشـابهة حسـب ما يعطيه سـياق الجملتين.

وهذه المعاني السياقية هي التي يدور حولها وفي مضمونها علم البلاغة ، أمّا المعاني الأولى فتذكر فيه كأساس للثانية، ومن المعاني الثانية دلالات موقع الكلمة في الجملة من تقديم وتأخير ضمن التركيب ، والدلالة الأصلية الأساسية لموقع الكلمة في الجملة هي أنّ المقدم أكبر أهمية من المؤخر.

وتفصيلات الأهمية تفهم من خلال السياق في كل موقع كما تقدم ذكر هذا وأمثلته، فنقول لمن يخشى وقوع العقاب من أميره : « عفا عنك الأمير» للإسراع بالبشارة ولا نقول له : « إن الأمير قد عفا عنك » فربما ظن عند ذكر الأمير أولاً أنه سيعاقبه .

وفي تقديم الفاعل على فعله يتغير إعرابه لفظاً فيكون مبتدأ كقولنا : (الرجل جاء) لكنه يبقى من حيث المعنى

فاعـلاً، ويقـال لـه (فاعل مقـدم)، ويقـال إنه مقـدم لأن معرفتـه في هـذا الموضـع أهم مـن معرفة الفعـل، هذا من حيث الإجمال.

أمَّـا التفصيـل فيقـال: إن تقديمـه مراد بـه زيادة على أهميتـه هـو تأكيـد وقـوع الفعل منه لأنـه يسـند الفعل إلى ضميره، ثُمَّ تسـند الجملة كلها إلى صاحب الضمير، ويراد مـن تقديمه أيضاً لفت الانتباه إليـه إذ يكون أول لفظ من الجملة يقع في سمع المخاطب .

وقد تكون فائدة التقديم حصر الفعل في الفاعل المقدم كقولنـا : (مـا زيد قام) أو (أزيد قام ؟) أي خصص نفي القيام بزيد، وأريد الاستفهام عن القيام من زيد خاصة.

ويظهـر هذا في تقديم المفعـول حين يتقدم على الفعل كقولنـا : (مـا زيـداً ضربـت) وقولنـا (أزيـداً ضربتَ)

ولذلك يقولون في جوابه : (ما زيداً ضربتُ لكن عمراً) في هذين الموضعين لأن السؤال كان عمن وقع عليه الفعل، وكذلك نقول أيضاً (راكباً جاء زيد) لبيان أن الحال هي الجزء الأهم أو المعنى الأهم في هذه الجملة مع إفادة الحصر أيضاً أي جاء في حالة ركوبه لا في حالة مشيه ونحو ذلك .

وبهذا يتضح ما تقَدَّم من أنه لا يجوز في اللغة العربية الاعتماد على معرفة الفاعل والمفعول من طريق موقع الكلمة كما في الإنجليزية، لأن لموقع الكلمة في الجملة العربية معنى آخر يتأدى به ويفهم منه، وليس الأمر كذلك في الإنجليزية .

ثُمَّ المعاني التي تفهم من السياق كثيرة ذكرت كتب البلاغة أكثرها تنبيهاً على الباقي، ومن ذلك المجاز

والكنايـة والتعريـض سـواء كانت هذه الأشـياء في المفرد أو في التركيـب، فـإذا سـمعنا خطيباً يتكلم بجـرأة وقلنا : (سـمعت أسـداً يتحدث) فهم منه أن كلمة أسد مراد بها الرجل الشـجاع في قوله ، وكلمة أسـد قبـل أن توضع في الجملة وتسـاق هذا المسـاق لا يمكن أن يفهـم منها معنى الرجل الشـجاع تحديداً ولا معنى الأسـد الحيوان تحديداً، بـل لا بد من وضعها في سـياق يدل على أنـه المراد باللفظ ولـو وضعتهـا في سـياق آخـر كأن تقـول : (الأسـد أكثر الحيـوان افتراسـاً) لما فهم منهـا إلا الحيـوان المعهود وهو معناها الأصلي .

وخلاصـة القول في دور علم البلاغـة في فهم القارئ للكلام هو أنه ينظر في معنى الكلمة « مادة وصيغة »، وفي المعـاني التركيبية أي التي تنشـأ من تركيب الكلام حسـب قواعد النحو، وينظر في سياق الكلمة والتركيب، ثم ينظر

في المعنى الذي تركب من ذلك كله ، ويفسر معناه كله من جميع جوانبه ملاحظاً دلالة كل جزء وكل تركيب ضمن الإطار العام وهو النظم ، هذا إذا كان هو القارئ فإن كان هو المتكلم وضع كل جزء وكل تركيب في الإطار العام وهو النظم لتتكون الصورة التي يريد أن ينقلها إلى من يخاطبه .

ولقوة الترابط بين النحو والبلاغة رتبت أبواب البلاغة ترتيبات تشبه ترتيب أبواب النحو لكن باصطلاحات أخرى ، وتناول علماء البلاغة الجملة ومجموع الجمل من وجوه متعددة .

وقد بدؤوا بالجملة وأجزائها فذكروا أحوال الجملة الخبرية عند مخاطبة الآخرين بها، وأنها تقصد لأمرين: إمّا الإعلام بمضمونها كقولك (زيد قائم) لمن لا يعلم ذلك،

وإمّـا الإعلام بمعنى يلازم هذا المعنى ولا ينفك عنه وهو إشـعار المخاطب أن المتكلم يعلم مضمون الخبر كعلمه في المثال السابق بقيام زيد.

والمعـاني التي هي من لـوازم مضمون الجملة متعددة متنوعـة، فمـن لـوازم الخبر: التبشـير، وهو قصـد إدخال الـسرور إلى قلب المخاطب كقول النبي ﷺ لأصحابه يوم بـدر: « **إنّ الله وعدني إحدى الطائفتين** »[1] يعني النصر في المعركة على جيش الكفار أو غنيمة القافلة.

ومنهـا: طمأنـة الحزيـن أو الخائـف مـن أمـر كقوله سـبحانه وتعـالى لنبيـه ﷺ: ﴿ **وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ﴾[2] ، لأنـه كان حزينـاً خائفـاً أن يهجره ربه ويقطع عنه الرسالة .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦١٥ ، ط مصطفى الحلبي بالقاهرة .
(٢) سورة الضحى: الآيات ١-٣ .

ثُمَّ كل واحد من هذين المقصودين أي الإعلام بفائدة الخبر أو المعنى الملازم لها يذكَر بلا تأكيد حين يخاطَب به خالي الذهن الذي ليس عنده أي فكرة عنه، ويؤكَّد مرة واحدة حين يخاطَب به من يعرفه معرفة فيها تردد، ويؤكَّد أكثر من ذلك حين يخاطَب به من ينكره ، فيقال مثلاً لمن لا يعلم شيئاً عن نبوة سيدنا محمد ﷺ : (بعث الله محمداً ﷺ نبياً) دون تأكيد، فإنْ كان سائلاً عن ذلك قيل له: (إنّ الله بعث محمّداً ﷺ نبياً) بتأكيد واحد، فإنْ كان منكراً نبوتَه قيل له: (والله إنَّ الله بعث محمّداً ﷺ نبياً) ، وهذا من حيث الإخبار وقوته، وإن كان مثل هذا الأمر يحتاج من جهة أخرى إلى الدليل المقنع والبرهان القاطع، فذلك جانب آخر غير الإخبار.

وأمّا دلالة الخبر - إذا خرجت عن ذلك - فهي

تدخـل في بحـث الـدلالات السـياقية مـن مجـاز وكنايـة وتعريـض، وهـذه الثلاثة تذكـر في علم البيان من أقسـام علـم البلاغة كما تقدم في قولنا : (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى) ، ونحو قول العرب : (فلان كثير الرماد) يعنون تمـام كرمه لأنـه يكثر شـواء اللحم للضيـوف فيكثر عنده الرمـاد ، ودلالة هذه الجملة دلالة بطريق الكناية لأن كثرة الرمـاد شيء واقع وهو مراد مـن الخبر لكن لأجل الدلالة عـلى الكرم لا لمجـرد الإخبار بكثرة الرمـاد، لأن كثرته في نفسه ليست مدحاً .

وأمّا جملة (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى) فحركة الأقـدام غير موجودة في الواقـع وغير مقصود الإخبار بها ولذلك يسمي العلماء هذه الدلالة مجازاً .

وبحثوا – بعد بحث المقصود من ذكر الخبر – تركيب

الجملة وأجزاء الجملة فبدؤوا بالإسناد نفسه لأنه الرابط بين المفردات: بحثوه من جهة كونه حقيقة أو مجازاً .

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾[1] ، أسند إليهم فعل الكفر وهو قالوا إسناداً حقيقياً بمعنى أنهم هم الذين فعلوه، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾[2]، أسند القتل إلى المخاطَبين من اليهود في عصر النبي ﷺ مع أن الذين فعلوا القتل هم آباؤهم، لكن أسند إلى المخاطَبين لأنهم وافقوا آباءهم على ذلك ورضوا به، فيكون إسناد القتل إليهم إسناداً مجازياً، فالمجاز هنا ليس في القتل لأنه حصل في الواقع ولا في فاعله وهو المخاطَبون وإنما هو في إسناد الفعل إليهم، فحصول القتل منهم مجاز لا حقيقة أريد به بيان إغراقهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨١ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٩١ .

في الموافقة على الجريمة والرضا بها حتى كأنهم هم الذين فعلوها .

وأمثلة ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام الشعراء وغيرهم أكثر من أن تحصى ، وليس هذا المعنى هو المعنى النحوي، بل هو ناشئ عنه بواسطة السياق، وإنما المعنى النحوي هو مجرد وقوع فعل القتل من فاعله .

ثُمّ بحث علماء البلاغة هذا الأمر نفسه - أي أحوال الجملة الخبرية في ركني الجملة المسند ، والمسند إليه ويعنون بالمسند الفعل والخبر وبالمسند إليه الفاعل والمبتدأ - وذكروا ما يعرض لكل منهما وبدؤوا بالمسند إليه أولاً - وقد سبق أن المسند إليه هو الفاعل والمبتدأ - وبينوا أحواله من تنكير وتعريف ثم نوع التعريف أهو بالعلمية أو الإشارة أو الضمير إلى آخر المعارف السبعة،

وبينوا المعاني التي يفيدها كل منها من تنكير أو تعريف ثُمَّ ما يفيده كل نوعٍ من التعريف حسب اختلاف موقعه في السياق .

فمن ذلك أن اسم الإشارة موضوع في أصله ليدلّ على شيء حاضر يشار إليه ، وينشأ عن ذلك معان منوعة حسب تنوع السياق فقوله سبحانه وتعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾[١] ، جاء اسم الإشارة ليدل على أنّ ما في هذا الخلق من عجيب الحكمة والإحكام شيء واضح تشاهده عيون المخاطَبين كالشيء المشار إليه ، ولذلك جاء بعده قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[٢] إيماءً إلى استحالة أن يخلقوا شيئاً يشبه هذا الذي يرونه .

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ

(١) سورة لقمان: الآية ١١ .

(٢) سورة لقمان: الآية ١١ .

لِأَنفُسِكُمْ ﴾[١]، فقد أريد باسـم الإشـارة تشخيص ضرر بخلهـم في إنفـاق الذهـب والفضة في الدنيا كأنه مشـهود منظور .

ومنه أيضاً قوله سـبحانه وتعـالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآ ﴾[٢]، أراد قائلـو ذلـك - وهم كافرون - أن الداخلين في الإسـلام من الفقـراء والضعفاء لا يمكن أن يختارهـم الله تعـالى ليمُـنَّ عليهـم برضوانـه وبدخول الجنـة، فعنـد هـؤلاء الكافرين اعتقـاد أن اختيـار الله ينال السـادة الأغنياء قبل الفقراء فأشاروا بقولهم ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ إلى مـا يبدو على أولئـك المؤمنين من مظاهر الفقر المحتقرة في نظرهـم، وإلى أن هـذه المظاهر يسـتحيل أن تكون محل الاختيار الإلهي .

(١) سورة التوبة: الآية ٣٥ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٣ .

وهكـذا تناول علـماء البلاغة أبـواب النحو بابـاً باباً وفصلاً فصلاً ، وبيّنوا ما ينشـأ عـن معاني النحو من معانٍ تظهر بواسطة التركيب في سياق معين، ولا يمكن لإنسان أن يفهـم جملة من جمل الكلام العربي فهماً مستقيماً تاماً إلا بمعرفة هذا العلم أي علم البلاغة، مع ما تقدم من معرفة مـادة الكلمـة، أي معنـى المصـدر ، ومعرفة ما تـدل عليه صيغـة الكلمـة، ومعرفـة المعـاني التي توجد عنـد تركيب الجملة حسب قواعد النحو .

وذلـك لأن المتكلـم أو الكاتـب أو الشـاعر حـين يريـد التعبير عن معنـى ما يختار اللفظ الأنسـب له « مادة وصيغة »، ويختار الأسـلوب النحوي الـذي يؤدي المعنى التركيبي الأنسـب له، ثم يختار نظم الكلام في سياق معين يكون ناطقاً بغرضه من كلامه .

وحـين يريـد السـامع فهـم مـراد المتكلم مـن كلامه

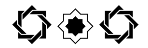
لا بـد أن ينظر في كيفية تعبيره عـن المعنى الذي أراده متبعاً التفصيـلات التـي سـار عليهـا المتكلـم مرحلـة مرحلـة، وبـدون ذلك لا يمكنه فهم مراد المتكلم فهماً سـديداً تاماً، وهذا ظاهر لكل من يتأمل الأمثلة السابقة .

وقـد يظن بعـض النَّاس أنـه يمكنه أن يفهـم الكلام العـربي بدون هذه الـشروط والتفصيلات بدليـل أنه يقرأ قـراءة ثقافيـة واسـعة دون أن يعـرف هذه العلـوم : علم المفـردات المعجميـة ، وعلـم تصريـف الكلـمات ، وعلم النحو، وعلم البلاغة ، وهذا كلام يقوله ناس كثيرون .

والذي يوقـع أولئك الناس في هـذا الخطأ الفادح أن لغتنـا اليومية في قُطْر ما أو بلد ما هي في أصلها لغة عربية، وأن كثـيراً من كلماتها وأسـاليبها هـي في الأصل من اللغة العربيـة، وهو يفهم ما يسـمعه ويقرؤه مـن الكلام العربي فهـماً إجماليـاً ناقصاً فيظن أنـه فهمه تمام الفهـم، أمّا الواقع

فليس كذلك ، وبهذا السبب تختلف نتائج القراءة وثمراتها باختلاف القراء ، كما يكون الفرق واضحاً جلياً بين قراءة العلماء للكلام وقراءة الجهال ، أو قراءة أنصاف المتعلمين، ومن أجل ذلك اشترط علماء الشريعة الإسلامية فيمن يريد التفقه في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أن يكون متقناً لعلوم اللغة العربية متدرباً عليها حتى يستطيع فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على الوجه الصحيح. وتنبيهاً لنا على ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى قوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1]، أي جعلناه بلغتكم التي تعرفونها لكي تعقلوه .

والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .



(١) سورة يوسف: الآية ٢ .

الفهرس

* * *



تعزيزاً لمكانة اللغة العربية أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي في أبريل 2012م حزمة مبادرات قيّمة لتعزيز اللغة العربية، ونشرها، وتمكينها، من أجل أن تكون دولة الإمارات العربية المتحدة بحلول عام 2021م مركزاً للامتياز في اللغة العربية.

فكانت تلك المبادرات خير حافز للجهات ذات الاختصاص للانطلاق في فعاليات منظّمَة تصب في بحار الجهود المبذولة في خدمة لغة القرآن، إيماناً بأن المحافظة على لغتنا "قيمة إسلامية، ومسؤولية وطنية، وترسيخ لهويتنا وجذورنا التاريخية"

وقد كان لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي شرف إطلاق مشروع (حماية اللغة العربية والهوية الوطنية) منذ عام 2008م، وها هي -استجابة لهذه المبادرات الكريمة- تتابع نشاطاتها في تنمية لغة القرآن ورعايتها، وبث الوعي بأهميتها، وبيان الحاجة إليها لتكون لغةً عالمية وأداة للتواصل الثقافي، وعنواناً لعزتنا، ولبنة في البناء الحضاري لأمتنا.

ولذا تضع الدائرة بين أيديكم (حقيبة اللغة العربية) التي تضم أربعة إصدارات بأقلام باحثيها، وتقدمها زهرةً في حدائق اللغة العربية الفصحى، تحت شعار:
اللغة العربية دين وهوية وتواصل.

الإصدارات

(توضيح قطر الندى)
(مفاتيح فهم الكلام العربي)
(اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة)
(العربية درة اللغات)

